جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة

ميدان العلوم الإنسانية

شعبة الفلسفة

تخصص تاريخ الفلسفة

إعداد الطالب :

جوادي الجيلاني

عنوان المذكرة :

نقد الحداثة الغربية عند طه عبد الرحمن

نوقشت علنا يوم:11/ 05/2017.

أ: بن غزالة محمد الصديق .... رئيسا

أ: كراش إبراهيم...مشرفا

د: زيغمي أحمد...مناقشا

الموسم الجامعي: 2016 / 2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

قال الله تعالى: «وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ»

الحمد لله أولا وآخرا على نعمه علينا وتوفيقه لنا ثم نتوجه بالشكر

الخالص والامتنان إلى:

الأستاذ المشرف **كراش إبراهيم** وقبوله الإشراف على إعداد هذه المذكرة

الذي يرجع له الفضل في تذليل الصعوبات التي واجهتنا بإعطائه إيانا كل النصائح

والإرشادات التي أدت إلى نجاح هذه المذكرة

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كل الأساتذة الأفاضل

كما نتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى كل من ساهم في هذا العمل المتواضع

إهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى

أغلى ما لدي في الوجود الوالدين الكريمين اطال الله في عمرهما

إلى من بعث فيا روح التفاؤل إلى رمز الحنان والعطاء

أمـــي الحنون **فاطمة**

إلى من غرس في قلبي بذرة العلم ورسم لي طريق النجاح وكان قدوتي في الحياة

سندي القوي أبـــي العزيز **إبراهيم**

إلى إخوتي الأعزاء كل بإسمه

إلى كل الزملاء في الدفعة

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

الجيلاني جوادي

فهرس المحتويات:

مقدمة

شهدت أوروبا الحداثة منذ القرن السابع عشر(17م)، الذي إنتهى بتحرير العقل الأوروبي من قيود الكنيسة؛ بحيث شكلت رؤية فلسفية وثقافية جديدة للإنسان وللعالم، ومع هذا فإن العالم العربي لم يفكر فيها إلا حوالي القرن التاسع عشر(19م)، أين حدث ما يعرف "بصدمة الحداثة" بفعل تغلغل الاستعمار الأجنبي في كل ربوع العالم العربي، بضغوطاته العسكرية والاقتصادية، التي قابلتها تغيرات من طرف العرب من اجل مواكبة مستجدات الآخر على المستوى المعنوي والمادي.

يعتبر عصر النهضة العربية؛ مرحلة مهمة للمفكرين العرب في تشكيل الوعي لدى المجتمعات المعاصرة، فجاءت للمرة الأولى في شكل مشاريع إصلاحية للواقع العربي، وكان وراء ذلك جملة من المصلحين يهدفون إلى تحسين أوضاع الأمة العربية القومية، ساعين لدخول مرحلة جديد تُعرف بمرحلة الحداثة، التي إهتم بها جل المفكرين المعاصرين، فمنهم من رفضها ومنهم من رحب بها في سبيل الإعداد لحداثة عربية.

ومن هؤلاء المفكرين العرب، الذين قدموا إسهامات معتبرة في الحداثة العربية، وروجوا لها المفكر المغربي طه عبد الرحمن، بحيث فتح حقلا معرفيا خصبا، مساهما في بناء فضاء فلسفي يدعو فيه إلى تجديد المعرفة الإسلامية العربية، وذلك بنقده للحداثة الغربية، داعيا إلى تأسيس حداثة عربية مبدعة ومستقلة لها شروط ومبادئ علمية ونظرية.

كما اطلعنا على بعض الدراسات الأكاديمية التي عنيت بتوضيح الفكر الحداثي عند طه عبد الرحمن منها " طه عبد الرحمن ونقد الحداثة " وهي رسالة لنيل شهادة الماجستير لبوزبرة عبد السلام.

أما عن أسباب إختيار موضوع البحث فتعود لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية:

فالموضوعية تعود إلى بحثنا عن مدى تحقيق طه عبد الرحمان لمشروعه الحداثي، وذلك بإبراز موقفه من الحداثة الغربية والوقوف على الأدوات النقدية والبنائية التي اعتمد عليها في قراءته الجادة.

أما الذاتية تتمثل في ميل نحو البحث في الفكر العربي المعاصر وصلته بالفكر الغربي قصد تحديد الأطر العامة والابستمولوجية، وذلك بالتعمق والاستفادة من الأدوات المفهومية واللغوية التي أبدعها طه عبد الرحمن.

وفي هذا الإطار نطرح الإشكالية التالية: كيف بنا طه عبد الرحمن حداثة عربية أصيلة من منطلق نقده للحداثة الغربية؟، وبصيغة أخرى: ما هي القراءة النقدية التي قدمها طه عبد الرحمان للحداثة الغربية؟، وما هو البديل الذي اقترحه في ذلك؟

وفي محاولة للإجابة على الإشكالية المطروحة في بحثنا هذا، إرتأينا معالجة الموضوع من خلال خطة تتألف من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

مقدمة: توضح المعالم الأساسية لموضوع البحث.

أما الفصل الأول فكان بعنوان " التأسيس المعرفي للحداثة الغربية وتأثيرها على الفكر العربي " وتناولنا فيه ثلاث مباحث، المبحث الأول لتوضيح مفهوم الحداثة الغربية، والمبحث الثاني تعرفنا فيه على أسس الحداثة الغربية، والمبحث الثالث تعرضنا فيه إلى تأثير الحداثة الغربية على الفكر العربي.

في حين خصصنا الفصل الثاني لتبيان" الرؤية النقدية للحداثة في فكر طه عبد الرحمن " واشتمل على ثلاث مباحث، المبحث الأول نقد العقل الغربي عند طه عبد الرحمن، والمبحث الثاني بينا فيه موقف طه عبد الرحمن من الحداثة العربية، والمبحث الثالث خلصنا فيه إلى مقارنة بين النهضة العربية والحداثة الغربية.

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه" المشروع الحداثي عند طه عبد الرحمن " وتضمن ثلاث مباحث، المبحث الأول وضعنا فيه مبادئ الحداثة العربية عند طه عبد الرحمن، والمبحث الثاني حددنا فيه شروط الحداثة العربية عند طه عبد الرحمن، والمبحث الثالث وضعنا فيه مقاربة نقدية للمشروع الحداثي عند طه عبد الرحمن.

وخاتمة: خلصنا من خلالها إلى أهم النتائج التي قادنا إليها البحث.

وقد اقتضت منا هذه الدراسة الاعتماد على المنهج التحليلي من جهة والنقدي من جهة أخرى، وذلك لمعالجة مختلف الأفكار التي طرحها طه عبد الرحمان في مشروعه

الحداثي، بالإضافة إلى المنهج المقارن، وذلك بهدف التعرف عن كثب عن أهم ما تميز به طه عبد الرحمن عن غيره من المفكرين.

أما عن اهم الصعوبات التي واجهاتنا والتي لا يخلو منها أي بحث أكاديمي، هو أن الموضوع واسع لذلك ركزنا فقط على إبراز ما تضمنته عناصر الخطة، بالإضافة إلى تشعب فكر طه عبد الرحمن، مما صعب مهمة الدراسة.

الفصل الأول

التأسيس المعرفي للحداثة الغربية وتأثيرها على الفكر العربي

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم الحداثة الغربية

المبحث الثاني: أسس الحداثة الغربية

المبحث الثالث: تأثير الحداثة الغربية على الفكر العربي

تمهيد:

يعد المشروع الحداثي الغربي ميدان خاص فيه العديد من المفكرين والفلاسفة دون أي عارض أو تيار يحد من حريتهم، أو أفكارهم التي حملت طبعة غربية بإمتياز سمحت لكثير من المفكرين الدخول في عباءة الحداثة الغربية، التي لم تكف عن مساءلة نفسها ومناقشة نتائجها بإعتبارها منظومة فكرية لصيقة بالغرب، يأخذها الغرور والمكابرة، وهكذا الحال في الحضارة الغربية؛ وعليه نقول: هل يمكن وضع تعريف محدد للحداثة، أم أنها تتأرجح بين أسسها الفلسفية التي تقوم عليها؟، وفيما تمثلت آثارها على الفكر العربي؟

المبحث الأول: مفهوم الحداثة الغربية

1. لغة:

أما في اللغة اللاتينية فكلمة حداثة تقابل حديث "Moderne" ومشتقة من الجذر "Mode" وهي " *لفظ قديم مستعمل بكثرة منذ القرن العشر في المساجلات الفلسفية والدينية، ويكاد يستعمل دوما بمعنى ضمني وهذا ما زاد في الحرية الفكرية ومعرفة أحدث الوقائع المكتشفة، أو بمعنى عامي خفة إنشغال، وحب التغيير من أجل التغيير بلا حكم على الماضي وبلا تفكير فيه*"[1]. ولهذا كان إستعمال كلمة حديث للدلالة على التفتح والحرية الفكرية.

---

[1] . أندرية لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفة**، مج2، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 822.

ويوجد في قاموس المحيط كلمة حداثة تعني "حدث حدوثا وحداثة، نقيض قدم وتضم داله إذا ذكر مع قدم، وحدثان الأمر، بالكسر، بالكسر أوله وابتداؤه كحداثة"[1].

الحداثة في اللغة العربية لفظة مشتقة من الفعل الثلاثي "حدث" بمعني الحديث نقيض القديم " *وحدث الشيء ويحدث حدوثا وحداثة فهو محدث وحديث، وحدث الأمر، أي وقع وحصل وأحدث الشيء أوجده، والمحدث هو الجديد من الأشياء* "[2]. ومنه فالحداثة في اللغة العربية هي الجدة والتجديد، وهنا تصبح الحداثة مقترنة بالواقع في إيجاد الأشياء وابتداعها في العالم الحسي.

وقد جاء في المعجم الفلسفي أن" *الحديث يتضمن صفات المدح أو الذم، فالحديث الذي يتضمن معنى الذم صفة الرجل قليل الخبرة السريع التأثير المقبل على الأعراض التافهة، دون الجوهر العميق، والمعرض عن القديم لمجرد قدمه لخبثه وفساده، أما عن الحديث الذي يتضمن معنى المدح صفة الرجل المتفتح الذهن، المحيط بما إنتهى إليه العلم من الحقائق المدركة، لما يوافق روح العصر، من الطرق و الآراء والمذاهب*"[3]، ويشير هذا إلى أن الحديث لن يخلو من الشر لأنه الحديث ذا صفة معيارية و نسبيه تحاول جمع محاسن القديم والحديث، لتصبح رمزا للأصالة والإبداع و الإبتكار التي تحمل الخير للعصر، من أجل التخلي على كل التقاليد

---

[1] . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **قاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 167.

[2] . ابن منظور، **لسان العرب**، مج2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1955، ص 131.

[3] . جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص ص 454،455.

الجامدة و العادات الباليه ويكون الحديث بهذا المعني يرتبط بمفهوم التطور والإنماء في جميع الميادين.

إن الفكرة المتوصل إليها في تحديد المفهوم اللغوي لمصطلح الحداثة أنها ارتبطت دائما بصفة الحديث باعتباره رمزا لها للكشف عن كل جديد والتخلي عن كل قديم الذي لا يليق بإنفتاح أصالتها.

2. اصطلاحا:

تعتبر الحداثة من أحد المفاهيم التي لها معان كثيرة، ويشتبك مفهومها مع مفاهيم مجاورة له من قبيل التجديد والتحديث وهذا ما يزيد من صعوبة تحديد مدلولها والوقوف على تعريف محدد للحداثة إذ لا يمكن حصرها في اتجاه محدد، ومذهب معين و هذا ما أدى إلى إختلاف بعض مواقف المفكرين، نظرا لتتعدد تعريفاتها بحسب مقارباتها الفلسفية، ويعرفها جان بودريار حيث يقول:" *إن الحداثة ليست مفهوماً سوسيولوجياً أو سياسياً أو تاريخياً، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد، أي إنها تعارض جميع الثقافات الأخرى السابقة أو التقليدية*"[1]، ويوضح هذا إنَّ الحداثة ممارسة أرادت أن تناقض الأساس التي قامت عليها الثقافة الغربية في الماضي والتي كانت قائمة على الدين، وبهذا إبتدأت الحداثة في أوربا منذ اللحظة

---

[1] . محمد برادة، **اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة**، مجلة فصول، العدد3، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1984، ص12.

التي تفككت فيها الثقافة الدينية و ظهرت الثقافة اللادينية؛ وهذا لان الحداثة مختلفة ومتعددة الأوجه بتعدد تعريفاتها.

فالحداثة بهذا المعنى "*مصطلح ثقافي ومفهوم يعبر عن لا محدودية المستقبل، عن شموليته، وعن كونه العام مقابل الخاص، أو ما قام منه، ومن هنا تحمل الحداثة إمكانية التبشير بالمختلف الذي سيأتي به أفق اللامحدود المستقبلي*"[1]. وبهذا تصبح الحداثة خطا حضاريا متجها نحو المستقل، داعيا إلى أفق جديدة ترفض كل ملامح الثقافة التقليدية، ومبشرة بالتغيير والتحول داخل المجتمع، من أجل تجاوز مظاهر التقليد الطاغية على الحاضر.

أما بودلير Baudelaire (1821 ـ 1867) * " *فالحداثة عنده هي العابر والهارب والعرضي إنها نصف الفن الذي يكون نصفه الأخر هو الأبدي والثابت، وللحداثة وجهان: سلبي: وهو ما عكسه عالم المدنية الكبيرة بما فيه من غياب التحضر والذي يتجلى في التقدم القائم على التقنية المعتمدة على البخار والكهرباء، ووجه فاتن، وهو عنصر الإثارة*"[2].

---

[1] . مطاع صفدي، **نقد العقل الغربي الحداثة وما بعد الحداثة**، مركز الانتماء القومي، بيروت، لبنان، 1990، ص 203.

*: **شارل بودلير** Charles Baudelaire (1821 – 1867) هو شاعر وناقد فني فرنسي، بدا كتابة القصائد في 1857، ويعد ومن أبرز شعراء القرن التاسع عشر ومن رموز الحداثة في العالم فكان شعره متقدم على شعر زمانه فلم يفهم إلا بعد وفاته(شارل بودلير، **الأعمال الشرعية الكاملة**، تر: رفعت سلامة، دار الشرق، القاهرة، د ط، 2009، ص 69.)

[2]. محمد برادة، **اعتبارات لتجديد مفهوم الحداثة**، مرجع سابق، ص ص 12،13.

وهذا يعني بأن الحداثة عبارة عن مذهب انقلابي في المفاهيم والأفكار يختفي تحت شعار التقدم والتطور في جميع الميادين، ولهذا فالحداثة لا تتقيد لا بعصر ولا بزمن عكس المعاصرة التي تتحدد بالزمن، فهي تسعى إلى نهوض الأمم دون غير.

المبحث الثاني: أسس الحداثة الغربية

1. العقلانية: La Rationalité

مادام أن العقل هو المجال الذي يتحرك فيه الخطاب الحداثي، فإن العقلانية هي روح الإنسان الحديث ومفتاح الحداثة، ولهذا" *ترتبط فكرة الحداثة ارتباطا وثيقا بالعقلنة والتخلـي عن إحداها يعنـي رفض الأخرى*"[1]. وبهذه العقلنة أصبح الإنسان يتأمل وينقد لكونه ذاتا عاقلة تميز وتبرهن على الأشياء وتعللها وبهذا لا يمكن فصل الحداثة عن العقلنة وهذا التناسب أصبح راسخا حتى قيل إن الحداثة هي العقلانية أو الحداثة العقلانية، "*وفي الحقيقة أن الفكر الفلسفي قد أسس حداثته بمحاولة إعادة الإعتبار إلى العقل وإثباته من ناحية باستبعاد تجليات اللاّعقل من ناحية أخــرى، باعتباره منبع الفساد والتشويش، فالجنون تهريج والأسطورة خرافة ... بهذا فالعقل مفتاح الحقيقة والأسطورة مخبؤها، وبالعقل يستطيع المرءِ أن يسيطر علـى ما تخفيه الأسطورة وأن يكشف وظائفها لكشف مقاصدها*"[2]. وهذا يعني أن الحداثة أعطت مكانة خاصة للعقل باعتباره مرجعا لكل معرفة ومبدأ لكل نشاط علمي ومن شأنه أن يحدد علاقته

---

[1] . ألان تورين، **نقد الحداثة**، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1997، ص 30.

[2] . فتحي التريكي ورشيدة التريكي، **فلسفة الحداثة**، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان،1992، ص 69.

بالوجود الخارجي، ولهذا فالحداثة مشروع تعميمي وشمولي يقوم على عقلنة جميع أنماط الحياة التي نحدد منها:

_ عقلنة الفكر العلمي: بدأت هذه العقلنة بالعودة إلى ما هو عقلي و فلسفي، وفي الحضارة اليونانية القديمة وتجاوزت كل الاعتقادات الدينية، البالية التي كانت الكنيسة تعمل على نشرها لبسط هيمنتها على جميع نواحي الحياة، حيث اعتمدت على العقل البرهاني والتجريب، وهذا ما أدى إلى انفصال العلم بصفة تكاد تكون كلية عن التصورات الدينية، وهذا ما أدى إلى قيام النموذج الرياضي كمقياس لمنهجية التفكير[1].

_ عقلنة القول السياسي: ظهرت هذه العقلنة في القرن الخامس عشر مع ميكيافللي Machiavelli(1527-1469) *، حيث انفصلت ميتافيزيقيا التفكير عن تدبير شؤون الدولة وهذا ما سمح للسياسة، بمعالجة أمورها بعقلانية مستقلة ومختلفة عن التناول الديني، بل أحدثت قطيعة عن المبادئ الدينية، وأصبحت سلطة خارجة عن الوجدان الديني لها قواعد علمية ثابتة تفصل الدولة و مؤسساتها عن المشروعية الدينية[2].

_ عقلنة القول الديني : تبرز من خلال تدخل العقل في المجال الديني، محاولة لإعطاء نظرة عقلية للنص المقدس تختلف عن النظرة التقليدية الموروثة،" *والحقيقة أن العقلنة في المجال*

---

[1] . فتحي التريكي ورشيدة التريكي، **فلسفة الحداثة**، مرجع سابق، ص 29.

* : **ميكيافللي** Machiavelli(1527-1469) ولد وتوفي في فلورنسا، ونهل من فنون السياسة في سن مبكرة لاقترابه من الامراء والاطلاع على اسلوبهم في ادارة الحكم من اسباب ادراكه المبكر لأهمية ان يكون الحاكم قويا وداهية في وقت واحد فيكون اسدا بين الذئاب وثعلبا بين الاسود (محمد نبيل الشيمي، ميكيافللي هل مزال حيا، **مجلة الجوار المتمدن**، العدد 2483، 2008).

[2] . فتحي التريكي ورشيدة التريكي، **فلسفة الحداثة**، مرجع سابق، ص 30.

الديني تعني التدخل في جميع مستوياته لإصلاحه والإبتعاد به عن الطريق المنحرفة"[1]. وهذا يؤكد أن العقلنة جاءت لإعطاء معنى عقلي لنص المقدس المسيحي مختلفا تماما عن المعنى التقليدي النقلي، حتى تبعد الفرد عن كل الطرق ـ الإيديولوجيات ـ التي تفرضها الكنيسة.

2. الذاتية : La Subjectivité

تعد الذاتية مبدأ من مبادئ الحداثة الراسخة والتي لا تقل شأنا عن العقلانية والحق أن الحداثة في معناها الحقيقي إستعادت ثقة الإنسان بنفسه من خلال إعطائه حقه ومسؤوليته في كل المجالات بإعتبار أن الإنسان ذات متحررة من كل القيود ومستقلة " *هي مقر ومرجع الحقيقة واليقين، وهي المركز والمرجع الذي تنسب إليه الحقيقة لكل شيء*"[2]. وبما أن الذاتية هي الأساس الفلسفي للحداثة، حيث أصبح الإنسان بمقتضاها مقياسا لكل شيء فإنه يمكن القول بأن الحداثة جاءت بمثابة الكشف عن الذات الإنسانية حتى تتحقق سيادتها، وتزيل كل الأوهام و الأساطير والخرافات عن الإنسان و يتحرر من ظلامية العصور القديمة، ويحقق حريته في فكره لا فيما كان يقرره رجال الدين وأصحاب السلطة، لأن الإنسان بقدر ما أقترب إلى ذاته ابتعد عن عالم الألهة وأساطير العهد القديم " *فالحداثة تزيل السحر عن العالم كما* يقول ماكس فيبر Max Weber (1864ـ 1920) * ، *ولا يمكن اختزالها في انتصار العقل،*

[1]. فتحي التريكي ورشيدة التريكي، **فلسفة الحداثة**، مرجع سابق، ص 31.

[2]. محمد سبيلا، **الحداثة وما بعد الحداثة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص65.

* **ماكس فيبر** Max Weber (1864- 1920) عالم ومفكر ألماني في الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، كما أتي بتعريف البيروقراطية، عمله الأكثر شهر وهو كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" (فليب راينو، **ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث**، تر: محمد حديد منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، ص 15.)

إنها بالأحرى انفراط الصلة بين الذات الإلهية ونظام طبيعي، وبالتالي بين مستوى المعرفة الموضوعية ومستوى المعرفة الذاتية أليس الكشف عن هذه الازدواجية هو ما جعل من ريكاردو رمزا للحداثة؟، وفي نفس الوقت وريث الفكر المسيحي ، بقدر ما ندخل إلى الحداثة بقدر ما تنفصل الذات عن الموضوعات في حين إنهما كانا يختلطان في الرؤى ما قبل الحداثة"[1].

وهذا يشير إلى أن الحداثة جاءت لتخليص الذات الإنسانية من كل المبادئ التي ورثتها من التراث المسيحي الذي كان يربط كل أفكاره بالمباحث الدينية التي لا يمكن تجاوزها والإبتعاد عنها، بإعتبار أن الدين رمزا سابقا على التعقل، ولهذا جاءت الحداثة بغرض تمظهر العقلنة وتحقيق الذات في وقت واحد مثلهما مثل النهضة والإصلاح.

ولعل أبرز مرحلة إنتقالية لتحقيق مبدأ الذاتية تعود إلى حدود القرنين السادس والسابع عشر (عصر النهضة الأوربية) حيث عادت الروح إلى الفلسفة وكان من نتائجها تأكيد مبدأ الذاتية "*حيث إستعادة الإنسان ثقته بنفسه وفكره بما هو فكره ودركه كما استعادة الثقة بالطبيعة الحسية الخارجية عنه وبنفسه ووجد الأهمية كلها والمتعة في إكتشاف الفنون والطبيعة* "[2]. *وهذا يؤكد أن عصر النهضة الأوربية جاء بمثابة ثورة فكرية، لإسقاط سلطة آباء الكنيس*ة ولإعادة بعث الروح من جديد للإنسانية، حتى يصبح الإنسان واعيا بمحيطه الخارجي وحرا في أقواله وأفعاله.

---

[1] . ألان تورين، **نقد الحداثة**، مرجع سابق، ص272.

[2] . محمد الشيخ، **فلسفة الحداثة في فكر هيجل**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 388.

والحال أن الذاتية قامت في الغرب إذ ما كان يهم الإنسان الغربي أن تصدر أفعاله عن نفسه بحسب دوافعها وغايتها ويؤكد ديكارتDescarte (1596-1650) * وحده أبو الفلسفة الحديثة من خلال دعوته إلى تحرير الذات الإنسانية من الجمود الفكري الذي ساد منذ العصور الوسطى ومحاولا تجاوز هذا الإستعباد وتحرير الذات، وفي هذه المرحلة يصف هيجلHegel (1770-1831)* فكر ديكارت التجديدي بقوله:"*الآن نصل إلى فلسفة العصر الحديث بمعناها الحقيقي، ونحن نبدؤها بديكارت فمعه نلج مجال فلسفة حرة مستقلة تعلم أنها متولدة عن العقل المستقل، وأن الوعي بالذات لحظة أساسية من لحظات الحق... لقد أضحى الفكر هو المبدأ الأساسي في هذه المرحلة، نعني الفكر الحر المستقل الصادر عن الوعي بالذات*"[1].

فثمرة انتصار الحداثة هي تحرير الروح واستقلالية الذات البشرية، ومعنى استقلالية الذات تعامل الإنسان مع نفسه كذات واعية، سيدة ومريدة وفعالة، وهذا هو مبدأ الذاتية[2].

ومن خلال هذه النظرة الجديدة في الفكر الغربي الحديث للإنسان كذات حرة ومستقلة ومسؤولة أصبح الإنسان الحداثي، متحرر من كل الشوائب وله دوافع وغايات يسعى إلى الوصول إليها.

---

*: **ديكارت**، Descarte(1596-1650) أول فيلسوف محدث وواحد من أعظم الرياضيين في الأزمان قاطبة (جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص ص 299، 300).

*: **هيجل**Hegel (1770-1831) فيلسوف الماني ولد في شتوتغاد، ومات بالكولرا في برلين (جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص ص 721، 722).

[1] . محمد الشيخ، **فلسفة الحداثة في فكر هيجل**، مرجع سابق، ص ص 390،391.

[2] . علي حرب، **الماهية والعلاقة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 214.

3. الحرية: La libertié

إن القول بمبدأ الحرية لا يقل وزنا عن القول بأساسي العقلانية والذاتية، وهذا يؤكد بأن الحرية كانت سببا في تضخيم الذاتية، كما عمدت إلى جعل الإرادة الإنسانية أساس بناء المجتمع والدولة، فالفكر الحداثي كان أساسه حرية الفرد، ولعل هذا ما ذهب إليه فيلسوف التنوير كانط بإعتبار أن الإنسان الكائن الحر بامتياز، وجعل الحرية مقدرة المرء على التشريع لنفسه بعقله، وذلك من دون سند براني، أو عون خارجي، وهذا يؤكد على مطلقيه الفكر الحداثي في التفكير والتعبير عن كل شيء، حيث تتجلى فيها صورة الإرادة الإنسانية الحرة، التي تسعى لهدم الوصايا التقليدية التي كبتّت الحريات باسم الدين.

ولعلى أبرز مظهر تجلت فيه الحرية مبدأ للحداثة في المجال السياسي، تبرز في الفعل الديمقراطي، باعتباره ممارسة تتجسد في مختلف مفاصل المجتمع، فالوعي بالحرية في عالم الفكر المجرد، بل في المؤسسات وتنظيمات ترافق الثقافة المظهرة لفكرة الحرية وتتفاعل معها، وهكذا تتألف حضارة الحرية من ثقافة الحرية، ومن مؤسسات الحرية، وتتطور على الدوام من جيل إلى جيل، وهذا يعني أن الفعل السياسي يشير إلى فكرة الحرية في كل الميادين، بإعتبارها مبدأ لديمقراطية ناتجة عن المشروع السياسي الحداثي الذي يتطور من مجتمع إلى آخر[1].

---

[1] . عبد السلام بوزبرة، **طه عبد الرحمان ونقده للحداثة**، جداول لنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص ص 50،51.

المبحث الثالث: تأثير الحداثة الغربية في الفكر العربي

لا شك أن فكرة الحداثة عند مفكرين العرب ترجع إلى ذلك الاحتكاك الناتج بين المفكرين العرب بالحضارة الغربية، و التي فرصت على الفرد العربي اللحاق وراء هذه الحداثة، و التي حمل بها المفكرين والمصلحين بها لواء الإصلاح، مما أدى إلى انبعاثها، وبالتالي إنقسام الفكر العربي إلى تيارات فكرية مختلفة ساهمت في نشر العديد من الأفكار، ولعل أبرز هؤلاء المفكرين المعاصرين محمد عابد الجابري (1935 . 2010) بمشروعه الفكري الذي تمحور حول نقد العقل العربي، والذي قصد به النقد الإبستيمولوجي للتراث العربي، بقول:" *إن تجديد العقل العربي يعني، في المنظور الذي نتحدث فيه، إحداث قطيعة إبستيمولوجية مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط وامتداداتها إلى الفكر العربي الحديث و المعاصر* "[1].

ويعني بهذه القطيعة تناول الفعل العقلي* الذي يمثل النشاط الذهني الذي يعالج الإشكاليات ويوجهها داخل الحقل المعرفي، وهنا يحدث التغيير ويكون الإختلاف عميقا وجذريا، وهذا ما أدى إلى إحداث قطيعة إبستيمولوجية مع العقل العربي في عصر الإنحطاط[2].

كما أنه لا يقصد قطيعة مع التراث، بل التخلي عن الفهم التراثي لتراث، بإعتبار أن التراث شيء من الماضي، ولهذا دعا إلى ضرورة تجاوز التبعية، إلى فهم حداثي، وهذا من خلال

---

1 . محمد عابد الجابري، **نحن والتراث**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط 6، 1993، ص 20.

*: **الفعل العقلي**، أي عدم دوام الفعل على حال واحد، وإنما يتجدد على الدوام، ويتقلب بلا انقطاع (نقلا عن: عبد السلام بوزبرة، **طه عبد الرحمان ونقده للحداثة**، جداول لنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 98).

2 . محمد عابد الجابري، **نحن والتراث**، مرجع سابق، ص 21.

قوله:" *الحداثة في نظرنا لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الإرتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة*"[1].

ويعني هذا بالنسبة له أن الأصالة والمعاصرة شيئان لا ينفصلان، فالأول مقلد والثاني تابع له، وعلى هذا الأساس وضع الجابري شرط ضروري لتجديد العقل العربي، وتغيير الوضع العربي، وذلك من خلال كسر قيود التقليد، وقطع خيوط التبعية، أي الاستقلال التاريخي الذي لا يتحقق إلا بممارسة النقد المتواصل لذات والأخر[2].

خاتمة الفصل الأول:

ـ الحداثة ترادف التجديد في اللغة العربية، باعتبارها كمشروع نهضوي ولهذا اختلفت آراء المفكرين حولها، فمنهم من إعتبرها بمثابة مذهب انقلابي جديد يناهض كل الثقافات السابقة، ومنهم من إعتبرها مظهر من مظاهر الحضارة، ومنهم من وقف موقف وسط بين الرأيين.

ـ من حيث الدلالة الفلسفية الحداثة تهتم بكل الجوانب الفكرية والفلسفية والثقافية والسياسية القائمة في المجتمعات، ولهذا فهي صيغة مميزة للحضارة.

ـ الحداثة الغربية ممارسة ناقضت كل الأساس الذي قامت عليه الثقافة الغربية، ولهذا فالحداثة الغربية مشروعا حضاريا متجها نحو المستقبل، داعيا إلى التغيير والتحول داخل المجتمع، متجاوزا مظاهر التقليد الطاغية.

---

[1] . محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص ص 15،16.

[2] . محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مرجع سابق، ص 60.

ـ تعتبر الأسس التي قامت عليها الحداثة بمثابة الخلاص للإنسانية في التاريخ الأوروبي، فهي تعد مرحلة انتقال الإنسان من العصور الظلامية إلى عصر التنوير، حيث إستعادة الإنسان ثقته وحريته، وأصبح مقياسا لكل شيء.

ـ الحداثة مرحلة إنتقالية، تعمل على نقل الإنسان من منفعل إلى فاعل في الطبيعة ومهتمة بإنسانية الإنسان، ومركزة على العقل، وهذا من خلال إرجاع كل شيء إلى العقل، وبهذا المفهوم أصبحت العقلانية تسيطر على كل المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية...الخ بالإضافة إلى الحرية التي أعطت له الإبداع، وإضفاء ذاتيته في الموضوعات.

ـ حضت الحداثة إهتمام محمد عابد الجابري، والذي أسفر في بروز مشروعه الفكري من أجل إخراج الأمة العربية من التخلف الفكري إلى التقدم والتطور ومواكبة الأخر.

ـ الحداثة الغربية من المفاهيم الدخيلة على الفكر العربي وليست إبداعا من مفكري العرب، فظهورها كان ناتجا عن احتكاك الغرب بالعرب من خلال الحملات التبشيرية والحروب وهذا ما دفع العرب إلى التنبه إلى الفرق الحضاري الموجود بينهم.

الفصل الثاني

الرؤية النقدية للحداثة في فكر طه عبد الرحمن

تمهيد

المبحث الأول: نقد العقل الغربي عند طه عبد الرحمن

المبحث الثاني: موقف طه عبد الرحمن من الحداثة العربية

المبحث الثالث: مقارنة بين النهضة العربية والحداثة الغربية

تمهيد:

لا شك أن الحداثة قد أعطت الأهمية البالغة للعقل الأوروبي في جميع مباحث المعرفة، مساهمة في تحرير الإنسان، ومساعدة على تقدمه على أساس العقل التقني والعلمي القائم على إعطاء الإنسان مبدأ السيادة في كل شيء، ومن هنا كانت الحداثة الغربية محل نقاش و إنتقاد العديد من المفكرين، ومن بينهم المفكر المغربي طه عبد الرحمان، الذي عمد إلى مراجعة مبادئها و شروطها وقيمها، بغيته الكشف عن مدى صلاحها، وهذا ما نلمسه في دراسته الحداثية، وعليه نتساءل: ما هي الرؤية النقدية للحداثة عند طه عبد الرحمان؟

المبحث الأول: نقد العقل الغربي عند طه عبد الرحمن

ينطلق طه عبد الرحمان في نقده للحداثة الغربية من "مبدأ العقلانية" أو التجريدية كما يسميها هو على حد تعبيره، والتي تعتبر أحد الأسس التي قامت عليها الحداثة الغربية، إذ إعتبر مبدأ العقلانية، مخالف لمبدأ الإيمان بالرسالة الإسلامية، بإعتبار أن الإنسان الغربي يتخذ إلا العقل كمبدأ مرجعي لإصدار أحكامه، فبنسبة للمسلم في حكمه إلى جانب العقل يقابله الوحي أو الرسالة "*فخاصية هذه العقلانية، أنها تستأثر بالإنسان من دون الوحي، وبالتالي فهي تتناهى مع الرسالة الدينية والعقلانية بهذه الصورة تمت تسميتها بالعقلانية المجردة، فتجريديتها تتمثل في الإشتغال بالعقل الإنساني دون الإشتغال بالوحي الإلهي*"[1].

[1] . طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص ص 97، 98.

وهذا يؤكد بأن هذه العقلانية المجردة، أي النظرية تخالف الشريعة الإسلامية، لأنه لا يمكن التمييز بين الإنسان والحيوان إذا عدت مرجعية الإنسان في إصدار أحكامه.

" *فالأخلاقية هي وحدها التي تجعل أفق الإنسان مستقلا عن أفق البهيمة، فلا مراء في أن البهيمة لا تسعى إلى الصلاح في سلوكها إلى رزقها مستعملة في ذلك عقلها، فالأخلاقية هي الأصل الذي تتفرع عليه كل صفات الإنسان من حيث هو كذلك، والعقلانية التي تستحق أن تنسب إليه وينبغي أن تكون تابعة لهذا الأصل الأخلاقي*"[1]. وهذا يعني أن هوية الإنسان تتمثل في هوية الأصل الأخلاقي، لأن الأخلاق هي التي تميزه عن الحيوان، الذي لا يستطيع أن يدرك القيم.

أما بالنسبة للمشكل الثاني في العقل الغربي فيتمثل في " مبدأ الدنيوية" أو الدنيانية* أو بالاصطلاح المعروف بمبدأ العلمانية، والذي يركز فيه الحداثي إهتمامه على الدنيا ويهمل الأخرة، وفي هذا يرد طه عبد الرحمن على هذا المبدأ بقوله:" *إن إهتمام الإنسان بالأخرة ليس خروجا عن الإهتمام بالدنيا، بل إهتمامه بالأخرة هو وسيلة للرجوع إلى الدنيا والإهتمام بها بأفضل مما يهتم الإنسان لو أنه ترك الاهتمام بالأخرة* "[2].

---

[1] . طه عبد الرحمن، **سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية**، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 14.

*: **الدنيانية**، مبدأ يقضي بالتعلق بالدنيا، والإهتمام بها وحدها دون الاهتمام بالأخرة (نقلا عن: عبد السلام بوزبرة، **طه عبد الرحمان ونقده للحداثة**، جداول لنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص98.)

[2] . طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، مصدر سابق، ص ص 98،99.

وهذا يشير إلى أن المحدثين حسب رأيه يصبغون كل المقاصد والمعاني الدينية صبغة دنيانية أي علمانية، تفصل الدين عن العقل، وداعية إلى أحكام العقل المجرد، ورافضة الدين بإعتباره ينافي فكرة العقلانية.

وتتقارب وجهة نظر طه عبد الرحمان مع عدنان علي الرضاء النحوي* الذي وجه نقده للإتجاه الحداثي" *من أخطر الأثار في واقع الفكر الإسلامي وذلك بما تسلل منها إلى ساحة العمل الإسلامي تحت مختلف الرايات والشعارات، حيث أصبحت الديمقراطية مطلبا إسلاميا والإشتراكية مطلبا إسلاميا كذلك، وأخيرا ظهر منها من يهون من أمر الحداثة، ويدعوا إلى حداثة إسلامية*"[1]

ويرى طه عبد الرحمان أن العولمة كنتاج للعقل الغربي تسعى إلى تحقيق الفعل التعقيلي المستمر، من أجل أن يصبح العالم نطاقا إجتماعيا وإقتصاديا وسياسيا وثقافيا واحد يؤلف بين أفراد المجتمعات كافة، وتجعلها في شكل واحد أي المجتمع الكوني " فسمة العلاقات في هذا النطاق العالمي الواحد هي التشابك بلا إنتهاء بلا إنقطاع"[2].

---

* : **عدنان علي رضا النحوي** (1928–2015) وهو أديب وناقد ونحوي سعودي وداعي إسلامي من أصل فلسطيني، له مؤلفات في العمل الإسلامي ونظريات في التغيير (نقلاعن: مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، العدد 86، ص 108، العدد 98، ص 15).

[1] . عدنان علي رضا النحوي، **تقويم نظرية الحداثة**، دار النحوي للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1992، ص 126.

[2] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة المدخل إلى تأسيس حداثة إسلامية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص 78.

ويشير هذا إلى الترابط المتزايد لوحدة النطاق العالمي على شكل واحد متكامل.

أما بالنسبة لنظام العولمة، الذي يعتبر وريث التطبيق الغربي لروح الحداثة وهذا يتجلى في إمتدادها على العالم بأسره، فقد وجه مفكرنا نقده لمبادئه الأساسية، التي أخل بها هذا النظام، من خلال سيطرته الثلاثة والتي تمثلت في:

_ سيطرة الاقتصاد في مجال التنمية والإخلال بمبدأ التزكية:

يعتبر طه عبد الرحمان أن العولمة تسعى بفعلها المستمر "إلى إلباس كل أنواع التنمية لباس التنمية الإقتصادية الرأسمالية"[1] ويعني هذا أن التنمية بمثابة هدف حضاري أفرزته مقتضيات الحداثة الغربية.

وعليه فقد إعتبر التنمية التي يكفلها نظام العولمة معارضة لكل تنمية، وبالأخص مبدأ التزكية الذي إعتبره أساس يتحقق به صلاح الإنسان، وتنمية أخلاقه، وبذلك يبعد عنه كل منفعة مادية " *فإذن أهل العولمة في علاقاتهم الإقتصادية ينفعون ولا يصلحون وينهبون ولا يزكون، إذ يشتغلون بتنمية مواردهم ويهملون تنمية أخلاقهم*"[2].

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 79.

[2] . المصدر نفسه، ص80.

_ سيطرة التقنية في مجال العلم والإخلال بمبدأ العمل :

يرى طه أن التقنية قد تداخلت مع العلم، وأصبح العلم وسيلة في يدها، توجهه بحسب حاجياتها الإستهلاكية التي تحدد السوق العالمية أو بحسب مشاريعها المختلفة، ما نتج عن هذا التأثير هو تسارع وتيرة الإكتشافات والإختراعات في مختلف ميادين المعرفة، حتى أصبح هذا يثر المخاوف والمخاطر على مستقبل البشرية[1].

_ سيطرة الشبكة في مجال الإتصال و الإخلال بمبدأ التواصل :

منذ سيطرت الشبكة بدأ التفاعل بين الملقي والمتلقي، وهذا لا يحصل تلقائيا كما الواقع المعاش بين الطرفين مباشرة، لأن الشبكة ليست إلا مضمونات يتلقاها المتلقي أو يلقي بها المتلقي، تكون في شكل إشارات متتالية تسمى بالمعلومات، التي تتصل بها الآلات، ولهذا يعتبر طه عبد الرحمن:" أهل العولمة في علاقاتهم الإتصالية يشتغلون بتناقل المعلومات ولا يبالون بتجارب الذوات، فأخلاقهم أخلاق الواقعين في تقديس المعلومات بما يشبه تقديس الكلام الإلهي، وما الفتنة المعلوماتية التي نشهدها بين أظهرنا إلا دليل على هذا التأله للإتصال"[2]، و عليه فقد وجهه طه نقده للأسرة الغربية، التي هي وريثة التطبيق الغربي لروح الحداثة، ويرى بأنها قد خرجت عن القواعد الأخلاقية التي كسبتها في روح هذا التطبيق، حيث يقول:"

---

1 . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 81.

2 . المصدر نفسه، ص. 84.

فالأسرة هي إذن منشأ العلاقة الأخلاقية بين الناس بحق، بحيث لا علاقة إنسانية بغير أخلاق"[1].

ومن خلال هذا فإن طه عبد الرحمان يحدد الأطوار التي تقلبت فيها البشرية، والتي عملت على قطع صلتها بالأخلاق، ويظهر هذا مع الأنواريون بكل قوه، الذين عملوا على تحرير الأخلاق من سلطة المعتقدات الدينية، ويظهر ذلك من خلال:

_ **مبدأ التوجه إلى الإنسان** : ويرى هؤلاء أن الإنسان قادر على أن يأخذ زمامه بيده ويحدد مصيره بنفسه دون الإستعانة بقوه غيبية، أو التوكل على موجود متعال، وعليه فهذا المبدأ يدعو إلى الإنفصال عن الإله.

_ **مبدأ التوسل بالعقل** : وذلك من خلال أنهم يعدون العقل بمنزلة السلطان الداخلي الذي يملكه الإنسان لإصدار أحكامه على الأشياء، و لا يوجد سلطان خارجي يهديه إلى الصواب، وعليه فهذا المبدأ يدعوا إلى الإنفصال عن الروح.

_ **مبدأ التعلق بالدنيا** : ويرى أصحاب هذا المبدأ أن الحياة الدنيا مستقر الإنسان و ماله، ويكون فيها صلاحه وفلاحه، من خلال إنجازاته المتقدمة والمتواصلة والمتكاملة.

وعليه فهذا المبدأ يدعو إلى الإنفصال عن الأخرة[2].

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص100.

[2] . المصدر نفسه، ص 101.

وبعد التحدث عن المبادئ العامة للحداثة، وهي التوجه إلى الإنسان والتوسل بالعقل والتعلق بالدنيا، قد حصر طه عبد الرحمان أفات تبين المظاهر التي جاءت بها تطبيقات الحداثة الغربية، إذ يرى أن قيمة الإستقلال دخلت عليها آفة النسبية، فسقط الإستقلال عن المطلق الديني، و أصبح الحداثي يؤمن بالنسبية لا المطلق، أما بالنسبة لقيمة الإبداع فقد دخلت عليها آفة الانفصالية، إذ انفصل الإبداع عن كل ما سبق، و من ذلك التراث، أما قيمة العقلانية فقد تخللتها الأداتية، فحولتها وسائل و مبادئ تفكير تعمل على توليد التقنيات و تطويرها، أما قيمة التأثير في المجالات فقد طرأت عليها آفة المادية فحولتها من تنمية الروح المعنوية إلى الروح المادية، وذلك يؤدي إلى إنحراف مسار التنمية في جميع الميادين[1].

وبحسب هذا أن الحداثة بقدر ما أعطت سلبت في نفس الوقت، بمعنى بقدر ما ساهمت في التطور العلمي والتقني في جميع المجالات، إلا أنها كانت لها مخاطر وأفات كانت سببا في العديد من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية... الخ.

1 . طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، مرجع سابق، ص ص 148،149.

المبحث الثاني: موقف طه عبد الرحمن من الحداثة العربية

لقد أفرزت الحداثة من خلال معطياتها الكثير من التحولات في المفاهيم بين المفكرين كل واحد منهم يصوغها حسب مشروعه الفكري، من قبيل التجديد والتحديث، وغيرها...الخ

وكثيرا تنقد الحداثة الموروث الثقافي الديني، بهدف التغيير والدعوة إلى إنتصار العقل على الشرع، إلا أن هذا لقي إعتراضا من طرف العديد من المفكرين، ومن بينهم طه عبد الرحمن الذي يرى " *بأن الحداثة عبارة عن نهوض الأمة كائنة كانت، بواجبات واحد من أزمنة التاريخ الإنساني بما يجعلها تختص بهذا الزمان من دون غيرها وتتحمل مسؤولية المضي به إلى غايته في تكميل الإنسانية* "[1].

وبهذا يسعى طه عبد الرحمن إلى أن تعم فائدة الفعل الحداثي على جميع الأمم، وهذا من أجل النهوض بكل واجباته وتحقيق الرقي في المجالات.

وهنا يعرف طه عبد الرحمان الحداثة بأنها " *من قولنا حدث الشيء، معناه صيره حديثا، أي نقله من حالة القديمة إلى حال جديدة، فيكون قول القائل تحديث الفكر الإسلامي العربي هو الإشتغال* "[2]. يعني ذلك أن الحداثة دعوة إلى التجديد والتغيير، دون التخلي على الموروث

---

[1] . طه عبد الرحمن، **الحداثة والمقاومة**، معهد المعارف الحكومية للدراسات الدينية والفلسفية، بيروت، ط1، 2007، ص 20.

[2] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 154.

الثقافي، أي دون إحداث قطيعة إبستيمولوجية مع بنية العقل العربي المسلم كما يقول الجابري في مشروعه الحداثي.

ويرى طه عبد الرحمن بأن الغرب عموما لم ينقد تراثه، ولم يحدث أي قطيعة والشاهد على ذلك " *ما يسمى بالنهضة فهي عبارة عن عودة إلى التراث اليوناني بدون نقد، أما النقد الذي حصل في بداية النهضة الأوروبية، فقد كان نقدا للتراث الكنسي والسلطة الكنسية، أما التراث كثقافة في العالم الغربي فلم يتعرض إلى النقد في تلك الفترة* "[1].

أما بالنسبة للمحدثين العرب فيرى طه عبد الرحمان أنهم سلكوا طريق الغرب، حيث إعتبروه نموذجا للثقافة والحضارة، وهذا لا يكون إلا بتطليق التراث تطليقا لا رجعة فيه من أجل النهضة والتقدم، لتجديد الفكر العربي وهذا ما يؤكده طه عبد الرحمن بقوله: "*أما عن قضية الحداثة العربية، فإني أرى أنه لا وجود لحداثة عربية، فالمحدثون العرب هم أصلا مقلدون صريحون، فعلى سبيل المثال إذا ظهرت التفكيكية صاروا تفكيكين، وإذا ظهرت البنيوية صاروا بنيويين، وهكذا*"[2]. بإعتبار أن الحداثة مبدؤها الأول والأخير هو الإبداع، وليس النقل، ولهذا رفض التقليد الأعمى للحضارة الغربية ولم يمنع الإطلاع عليها "*فنحن نحتاج لا إلى نقلها وتكرارها كما في أصولها، ولكن إعادة إبداعها على طريقتنا الخاصة*"[3].

---

[1] . طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، مصدر سابق، ص 133.

[2] . المصدر نفسه، ص 104.

[3] . المصدر نفسه، ص105.

ذلك أن مقتضيات الأمة العربية الإسلامية وظروفها ليست كمقتضيات العالم الغربي وأوضاعه، فلكل منهما خصوصياته وحاجياته التي يسعى إليها.

وعلى هذا الأساس يعتبر طه عبد الرحمان أن الحداثة هي التعايش والتفاعل الإيجابي، المؤكد على المغامرة الحضارية التي تدعو إلى الإبداع والاجتهاد بغيته تغيير الواقع السائد الذي يقوم على التمسك بالتراث الغربي، والذي يحاول تطبيقه على واقعه العربي، وبواسطته أصبح متشتتا بين آراء المفكرين الذين يدعون إلى ثقافة الأخر التي تعتبر دخيلا له" *لأن الدعوة إلى الأصالة في الوقت نفسه دعوة إلى الإطمئنان والإتصال والشعور بالدفء، والإنسجام مع الذات*"[1]. ويؤكد هذا أن المفكر طه عبد الرحمن يدعو إلى التمسك بالأصالة والمحافظة على التراث الذي يميز حضارتنا.

وفي دراسته التقويمية للتراث، يميز بين نوعين من المقلدين، نوع التأصيل للحداثة الإسلامية مركزا على اللغة والتراث...الخ، ونوع متأثر بالجانب المادي للحضارة الغربية بإعتبارها نموذج التقدم والتطور، وفي هذا الصدد يقول طه عبد الرحمان: *إن التأصيل أكثر إجتهادا من نقل الحداثة على مقتضاها الغربي، فالذي يحاول تأصيل المعاني في المجال التداولي الإسلامي هو مجتهد ولو أخطأ، محققا نوعا من الإبداع لا يحققه الحداثي الجامد على*

---

1 . محمد سبيلا، **مدارات الحداثة**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، د ت، ص 253.

ظافر النقل"[1]. وهذا يشير إلى أن طه عبد الرحمن يفضل الأصالة* مع محاولته الإبداع* فيها، دون نقل التراث الأخر الذي يمثل المعاصرة الخالية من روح الإبداع.

مما تقدم تتضح رؤية طه عبد الرحمن من الحداثة العربية التي كان المفكرون يسعون إليها، وهنا يقف طه عبد الرحمان على التمييز بين واقع الحداثة وروح الحداثة، أما بالنسبة لواقع الحداثة فهو الذي يحدث في زمان معين ومكان معين أيضا، أما بالنسبة لروح الحداثة الذي يسعى إليه طه عبد الرحمن، فهي تحدث في أي زمان وأي مكان، ويكون قادر على النهوض بالوجود الحضاري للإنسان.

المبحث الثالث: مقارنة بين النهضة العربية والحداثة الغربية

لقد لعبت الحداثة دورا كبيرا في تحويل مسار الفكر، فهي وسيلة من وسائل إتساع نطاق الوعي، في الحضارتين الغربية والعربية الإسلامية، وهذا ما أفرز على عدت مشاريع راجت تحت إسم التحديث والتجديد، بدعوة تحقيق النموذج الحداثي، الذي ظهر عليه عدت آراء

---

[1] . طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، مصدر سابق، ص104.

*: **الأصالة**، للأصالة معنيان؛ الأول: هو الصدق أي عمل صادر حقا عن صاحبه، والثاني: هو الجدة او الإبداع وهو امتياز الشيء او الشخص عن غيره (جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص ص 95،96).

*: **الإبداع**، أي تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقا كإبداع الفني والإبداع العلمي ومنه التخيل المبدع في علم النفس (جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 31).

ومواقف، سنحاول الفصل من خلال توضيح كل من ميزات الحضارة الغربية وميزات الحضارة العربية الإسلامية، التي عدها الكثير من المفكرين مقياسا للحضارة، ويظهر هذا من خلال ما يلي:

1. ميزات الحداثة الغربية:

_ الحداثة الغربية أعطت مكانة مرموقة للعقل، باعتباره مرجعا لكل معرفة، كما أنها إستعادت ثقة الإنسان بنفسه، و أصبح بإمكانه إعطاء رأيه بإعتبار أن الإنسان كائن حر بإمتياز، ومن حقه التشريع لنفسه بعقله، دون سند أو عون خارجي، وهذا ما يؤكد عليه هابرماس Habermas(1929) *بقوله :" *تحولت الحداثة إلى إيديولوجيا* * *أنتجت خطابا غائبا، وألهت العقل و حولته إلى أداة وأقصت الديني باعتباره فكر منافي للعقلانية*"[1].

_ يعد مبدأ الدنيوية أو الدنيانية مبدأ أساسيا من مبادئ الحداثة الغربية، و التي تدعو إلى التعلق بالدنيا، و التفكير فيها و الإهتمام بها وحدها.

*: **هابرماس**، Habermas(1929) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني ولد 1929، يعد من أبرز ممثلي مدرسة فرانكفورت وخير منطقي بينهم (جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص 687.).

*: **إيديولوجيا**، هي علم الأفكار موضوعها دراسة الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها والبحث عن أصولها بوجه خاص (إبراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1983، ص 29.).

[1]. أبو النور حمدي وأبو النور حسن، **يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل**، التنوير لطباعة والنشر، بيروت، د ط، 2012، ص81 .

_ الحداثة الغربية مشروعا حضاريا يرفض كل ملامح التقليد الطاغية على الحاضر، من أجل تجاوزها لإحداث التحول و التغيير.

_ الحداثة الغربية جاءت كممارسة لتناقض الأساس الذي قامت عليه الثقافات القديمة، والتي كانت قائمة على الدين.

_ يعتبر النظام العلمي والتقني، أو ما يسمى بالعولمة، التي سيطرت على الفكر الغربي كانت سببا في الانفصال عن الأخلاق الدينية، و هذا من خلال تحقيق الهيمنة على المبادئ الأساسية للمجتمع (مبدأ العمل، مبدأ التواصل، مبدأ التزكية)، وهنا أصبح الحداثي لا يؤمن بالموروث التقليدي بإعتباره جزء من الماضي، وهكذا أصبح الحداثي يؤمن بالثورة المعلوماتية التي تسعى إلى التغيير والتطور في جميع الميادين.

2. ميزات النهضة العربية:

_ النهضة العربية كان مقصدها أن ترتقي بالإنسان إلى مزيد الكمال الحضاري، لأنها عبارة عن جملة من المبادئ التي تضمن للإنسان أن يحقق التقدم في كل مجالات الحياة[1].

_ النهضة العربية جاءت نابذة للتخلف، ومحاولة تخليص المجتمع من كل أشكال الجهل بغيته إصلاحه، حيث يقول محمد عبده :"*لقد ارتفع صوتي لتحرير الفكر من قيد التقليد، وقد جهر الإسلام بأن الإنسان لم يخلق ليقاد بالزمام، و لكنه فطر على أن يهتدي بالعلم والإعلام*"[2].

---

[1]. طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، مصدر سابق، ص143.

[2] . محمد عبده، **رسالة التوحيد**، دار الفكر، بيروت، د ط، د ت، ص75 .

_ يمكن القول بأن النهضة العربية كانت مقلدة أكثر منها مبدعة على حد قول طه عبد الرحمن، لأن جل المفكرين العرب جاؤا لإحداث قطيعة مع الموروث الثقافي (التراث) ، بإعتباره نموذج للتخلف، ونهجوا نهج الحضارة الغربية بإعتبارها نموذج التقدم و التطور.

_ لقد إختلفت مناهج الحداثيين العرب في طريقتها للنهوض بالمجتمعات، ما بين إصلاح واقع الأمة الذي يكون في مرحلة معينة من الزمان، و ما بين إصلاح روح الأمة و الذي يدوم لكل زمان ومكان.

_ الحداثة العربية مشروع فكري هدفه التجديد و التحديث لبنية العقل المسلم، الذي ظل حبيس الماضي، من أجل تحريره لرؤية متحضرة.

خاتمة الفصل الثاني:

ـ الحداثة الغربية جاءت بمثابة ثورة كوبرنيكية، لتحرير العقل الأوروبي من كل القيود التي كانت تحت سلطة الباباوات، ولهذا أعطت أهمية للعقل الإنساني بإعتباره المشرع الحقيقي لكل شيء، أما بالنسبة للمسلم يكون إلى جانب العقل في إصدار أحكامه الشرع أو الرسالة.

ـ يبرز موقف طه عبد الرحمان من الحداثة الغربية بأنها حداثة فاقدة للبعد الأخلاقي من خلال أنها ترتكز على العقل النظري (المجرد)، الذي قد يشترك فيه الحيوان مع الإنسان، أما بالنسبة للعقل الذي يعطي للإنسان إنسانيته، فهو يقوم على الأخلاق، ومن هنا فالحداثة الغربية تفتقر للجانب الأخلاقي.

ـ يؤمن الحداثي الغربي بالمبدأ الدنيوي، الذي يجعل الإنسان يصب إهتمامه على الدنيا فقط ويهمل الأخرة، وهذا المبدأ يخالف الشريعة الإسلامية وهذا أيضا ما يرفضه طه عبد الرحمن في الحداثة الغربية.

ـ يرفض طه عبد الرحمان فكرة العولمة، التي تسعى إلى تحقيق المجتمع الكوني الذي أحدثت ثورة في جميع المجالات، إلا أنها ساهمت في العديد ومن الأزمات والمخاطر.

ـ النهضة العربية تعتبر حداثة مقلدة وليست مبدعة، وهذا من خلال نقلها للمبادئ والأفكار الغربية دون إعادة بنائها، وهذا ما يجعلها تخالف مبادئ الشريعة الإسلامية.

ـ يرى طه عبد الرحمان أن الحداثة العربية فاقدة لجانب الإبداع، بإعتبار أن الحداثة أحد مقوماتها الأول والأخير هو الإبداع، وفي النهضة العربية لا نجد هذا المقوم الذي يدفعها إلى الرقي في جميع المجالات.

ـ الحداثة العربية جاءت في شكل نهضة محاربة ورافضة للموروث الثقافي (التراث)، وهذا ما يؤكده طه عبد الرحمان، وداعيا إلى التغيير والتجديد في جميع الميادين، وهذا ما نجده في المشروع النهضوي للجابري.

ـ يدعو طه عبد الرحمان إلى التعايش والتفاعل الحضاري الذي يقوم على الإبداع، بغيته تغيير الواقع، وفي هذا الصدد يقول:" إن الحداثة هي نهوض الأمة بواجبات زمانها"[1]، وهذا بمعنى أن الأمة الإسلامية حين تحقق كل واجباتها، تكون قد حققت حداثتها.

ـ إجمالا وحسب طه أن هناك علاقة بين الحداثة الغربية والنهضة العربية، وهذا من خلال الأهداف التي يسعى كل منهما إليها من ناحية التجديد و التغيير والتحرر من كل موروث تقليدي يقف عائقا في وجه التقدم و التطور، إلا أن لكل منهما مسوغاته التي يجب أن يراعيها، فالمبادئ التي تقوم عليها الحداثة الغربية تخالف الشريعة الإسلامية، وهذا ما يؤكد عليه طه عبد الرحمان و يرفضه، ويقول بأننا يجب أن نعيد بنائها حتى يسمى هذا إبداع الحداثة العربية.

1 . طه عبد الرحمن، **الحداثة والمقاومة**، مصدر سابق، ص 20.

الفصل الثالث

المشروع الحداثي عند طه عبد الرحمن

تمهيد

المبحث الأول: مبادئ الحداثة العربية عند طه عبد الرحمن

المبحث الثاني: شروط الحداثة العربية عند طه عبد الرحمن

المبحث الثالث: مقاربة نقدية للمشروع الحداثي عند طه عبد الرحمن

تمهيد:

بعدما نقد طه عبد الرحمان الحداثة الغربية، محاولا بهذا إقامة مشروع حداثي بديل من خلاله يلفت الانتباه إلى دور الدين في الإحياء الحضاري، على إعتبار أن الحداثة الغربية تستند على معايير عقلية وعلمية مستقلة تماما عن ما هو أخلافي بالمفهوم الديني، وفي ظل هذا الدور الذي يسند إلى الدين يسعى طه عبد الرحمن إلى إقامة حداثة أخلاقية معاصرة بديلة، تضاهي الفكر الغربي الحديث في مناهجه وتطبيقاته، وهذا لن يكون إلا بترقب مكامن الخلل الناتج عن السبات الحضاري والوجداني التي تعاني منه الأمة، وهذا لا يقوم إلا بألية التحديث من أجل الإبداع فيها، لتطبيق روح حداثة في المجتمع العربي المسلم بكيفيات تختلف عن تطبيق المجتمع الغربي، ومنه نتساءل: فيما تتمثل الرؤية الجديدة للحداثة العربية عند طه عبد الرحمن؟.

المبحث الأول: مبادئ الحداثة العربية عند طه عبد الرحمن

يرى طه عبد الرحمن بأن الحداثة فعل حضاري، لا يمكن أن تختص به أمة واحدة، لأن الحداثة في الحقيقة الأمر ليست حداثة واحدة بل هي "*عبارة عن إمكانات متعددة وليست، كما رسخ في الأذهان إمكانا واحدا* "[1].

ولهذا لا يمكن أن يكون النموذج الغربي للحداثة فقط، والذي يعتمد على التوجه المادي الذي يهتم بالتحديث من حيث الواقع لا من حيث الروح، أما بالنسبة لطه عبد الرحمن، فيهدف

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 16.

إلى تكوين حداثة بديلة ذات توجه معنوي، تبنى على جملة من المبادئ (مبدأ الرشد، مبدأ النقد، مبدأ الشمول) وهي نفسها روح الحداثة الإسلامية، فلا تقوم حداثة إلا وبهذه المبادئ.

1. مبدأ الرشد:

يقضي هذا المبدأ الإنتقال بصاحبه من حالة القصور إلى حالة الرشد، و"*القصور هنا يراد به حسب ما جاء في جواب* كانط Kant(1804-1724) * *عن "ما هي الأنوار" لأن القصور عدم قدرة المرء على إستخدام فكره في الأمور دون إشراف الغير عليه، مع رفع مسؤولية هذا القصور عليه، لا على هذا الغير*"[1]. وهذا القصور ما يصطلح عليه بالتبعية أو الخضوع للغير، وقد تتخذ التبعية أشكالا ثلاثة مختلفة حسب رأي طه عبد الرحمن، فنجد أولا التبعية الإتباعية؛ وهي أن يسلم القاصر كل مهامه القيادية لغيره عن طواعية دون التفكر والتحكم فيها، وأن يجعله خليفة له في كل الأمور، أما ثانيا التبعية الإستنساخية؛ والتي هي عبارة عن نقل أفكار ومبادئ الغير(الثقافة الغربية) و تطبيقها في مكان مبادئه الأصلية، وهذا يكون مجرد تقليد لا غير، وثالثا نجد التبعية الألية؛ وهي أن ينبهر القاصر بغيره فيقلده في المناهج والمبادئ دون التفكير، ومن غير إعادة بناء لهذا المحتوى؛ ومن هذا القصور يتبن لطه عبد الرحمن أن مبدأ الرشد يرتكز على ركنين أساسيين هما: ركن الإستقلال وركن الإبداع.

* **كانط**، Kant(1804-1724) فيلسوف ألماني ولد ومات في كوينغسبارغ "بروسيا الشرقية" من أسرة بورجوازية يرجع أصلها إلى إسكتلاندا (جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص 519.)

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 25.

أ. ركن الاستقلال:

يتحقق الإستقلال بتخلي كل إنسان راشد عن كل وصاية، وبالأخص الوصاية الفكرية فيجب على كل إنسان أن يشرع لنفسه ما يجب فعله أو تركه، لأن الإنسان المعاصر سواء في العالم العربي أو الغربي لن يعثر على "*معنى لوجوده ولحركته في الكون إلا إذا خرج من تاريخ الإنسان وحضارته ومدنياته النسبية، ووعي حضوره في تاريخ الخلق الحقيقي، تاريخ الكينونة*"[1]. ولهذا فالحداثة الغربية تدعوا إلى إستقلال مقلد وليس مبدع يحرر الإنسان ويميزه بخاصية تفكيره، لذا وجب تفادي هذا الإستقلال المقلد، الذي يجعلنا مكبلي الأيادي وعاجزين وتحت وصاية الأخر وكأننا تائهين في الأفكار وخالي المبادئ، ولذلك أن طه عبد الرحمان يسعى إلى تجاوز هذه العقبات، ويركز على الإنسان الراشد، وذلك من خلال دحض كل الوصايا سواء الداخلية والتي تكون تحت سلطة رجال الدين أو الخارجية، وهي ترك ثقافة الغرب، وحين ينفصل عن كل هذه الوصايا يحقق الإستقلال والإنفصال، ويتجه إلى الإبداع وهنا نلمس الإستقلالية الفكرية التي تجسد ذاتية الإنسان العربي حيث "*تجعله إنسان راشد منطلق الحركة قوي الذات*"[2]. وبهذا يكون الإنسان ذا إرادة قوية مستقلة ومسؤولة، قاطعة لكل تغريد حداثي.

---

1 . خالد حاجي، **من مضايق الحداثة إلى فضاء الإبداع الإسلامي العربي**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2005، ص 41.

2 . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 26.

ب. ركن الإبداع:

يسعى هذا الركن إلى ترك كل إبداع مقلد قاصدا به الإبداع المبدع، وهذا من خلال الإبداع في الأفكار و الأقوال و الأفعال، و لكن هذا لا يعني أن يبدع أفكار ومبادئ على حساب التراث، وإنما وجب أن يؤسس هذه الأفكار و المبادئ على قيم جديدة يبدعها من عنده أو يعيد بناء قيم سابقة وفقه ما يقتضيه ذلك الإبداع مع حاضره لا مع حاضر غيره كما أن الإبداع لا يعني إحداث قطيعة مع الموروث الثقافي قطعا كليا، وإنما يكون بتغاضي عن الجزء الذي انقضى نفعه، ويعيد بناء الجزء الصالح، ويقطع الصلة مع الجزء الفاسد، حتى يصبح هذا مدعاة للاختراع و الابتكار معلنا النزعة الحداثانية، لأنه ببساطة لو نظرنا إلى الواقع العربي حتما سنجده غارق في التقليد الأعمى لا الإبداع، وسنجد معظمهم لا يكلف نفسه للإبداع الجديد بل نجده "*لا يصوغ من الألفاظ إلا ما صاغه غيره، و لا يستعمل من الجمل ما استعمله، و لا يصوغ من النصوص إلا ما وضعه، و لا يكاد يزيد على هذا أو ذاك شيئا يكون من إنشائه، لا من إنشاء غيره*"[1]. لذا وجب على كل حداثي عربي أن يعلن ثورة على الإبداع المقلد الذي نجده في جل المجالات.

لهذا يركز طه عبد الرحمان على ركن الإبداع، باعتباره شرطا أساسيا، لأنه يرى هذا الركن غائب في الحداثة العربية، حين يقول: "*أما عن قصة الحداثة العربية فإني أرى لا وجود لحداثة عربية، فالحداثيون العرب هم أصلا مقلدون صريحون فعلى سبيل المثال، إذا ظهرت*

[1] . محمد عاطف العراقي، **ثورة العقل في الفلسفة العربية**، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1978، ص 11.

البنيوية صاروا بنيويين، وهكذا"[1]. وهذا يؤكدا بأن الحداثة لا تؤسس من التقليد والتبعية، وإنما هي الإبداع الذي يكون به الإنسان متميزا وحديثا عن غيره لأنه " *من لم يبدع لا يستحق أن يكون حديثا* "[2]

2. مبدأ النقد :

يقتضي هذا المبدأ الإنتقال من حال الإعتقاد إلى حال الإنتقاد، وأن يرفض كل معرفة ليست مبرهنة بالعقل لأن الإعتقاد هو "*أن يسلم المرء بالشيء من غير أن يحصل أي دليل عقلي عليه*"[3]. على خلاف الإنتقاد الذي يقوم على الدليل فهو " *المطالبة بالدليل على الشيء كي يحصل التسليم به*"[4]. ويتحقق هذا المبدأ بركنين أساسيين: ركن التعقيل أو العقلنة، وركن التفصيل.

أ. ركن التعقيل أو العقلنة:

والمراد بهذا الركن تجاوز أو رفض العقلانية المقلدة التي سيطرت على الواقع العربي، من خلال التأثير المطلق بها، حيث أخضعت كل ظواهر العالم ومؤسسات المجتمع وسلوكيات الإنسان وموروثات التاريخ كلها إلى مبادئ العقلانية، إذ أضحت بهذه المبادئ تخطط له

1 . طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، مصدر سابق، ص 26.
2 . المصدر نفسه، ص 104.
3 . طه عبد الرحمن، **الحداثة والمقاومة**، مصدر سابق، ص 34.
4 . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 26.

إستراتيجية وتحدد له مساره، كما أن هذا التعقيل الحداثي كما يصطلح عليه طه عبد الرحمان قد بلغ ذروته وتجاوز جذوره "*إذ عادت زمام المبادرة فيه بيد التقنية لا بيد العلم*"[1].

ويشير هذا إلى أن التعقيل، لن يكفي من أجل الوصول إلى الحداثة من حيث التقنية، لذا وجب الأخذ بهذا التعقيل في تحقيق التقدم والتطور بالإنسان.

ب. ركن التفصيل أو التفريق:

يقضي هذا الركن برفض التفصيل المقلد المنقول عن طريق التفريق أو التفصيل المبدع، حيث أن كل حداثي سواء الغربي أو الحداثي العربي غارق في التقليد، من حيث التفصيل يعد الحداثيين العرب قد نقلوا من الأصل الغربي بوجه إبداعي تفصلي عربي في كل المجالات وعلى كل المستويات، لأن التفصيل حسب طه هو "*نقل الشيء من صفة التجانس إلى صفة التغاير، بحيث تتحول عناصره المتشابهة إلى عناصر متباينة*"[2]. وقد تميزت الحداثة بهذا التفريق الحاصل في ميدا ن المعرفة من خلال دوائر العلم والقانون والأخلاق والفنون، وفي ميدان الثقافة بين دوائر القيم النظرية والقيم الرمزية، وكذلك التفصيل الحاصل في أشكال الحياة الجماعية والفردية، في حقل إختلاف المهام والأدوار في مدى فعالية المجتمع، لذا وجب التخلي

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 27.

[2] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

على فكرة التفصيل لأن هذا الأخير سيظل مفهوما لصيق بالغرب، ولابد من تجاوزه من أجل تحقيق حداثة فعلية.

3. مبدأ الشمول :

يتأسس هذا المبدأ بإنتقال من حال الخصوص إلى دائرة الشمول، حيث يسعى هذا المبدأ إلى تجاوز كل فكرة محدودة، والتي تطالب بها الحداثة الغربية، بإعتبار أن كل مجتمع يتميز بصفات حضارية وثقافية معينة، ولهذا فالشمول يسعى إلى تجاوز هذه الخصوصية بنوعيها، خصوصية المجال، وخصوصية المجتمع، وهذا ما يؤكد عليه هذا المبدأ بركنيه ركن التوسع، وركن التعميم المبدع.

أ. ركن التوسع:

يسعى هذا المبدأ إلى التخلي على الفكرة السائدة _ التوسع المقلد، الذي وقعت فيه الحداثة الغربية حيث صار في كل المجالات (الفكر والعلم والدين والأخلاق)، وهذا يؤدي إلى تقلبات تخرج عن حدودها متجاوزة المجال الأخلاقي، وهذا ما يجعلها تعاني من الأفات الخلقية، لذا وجب أن نبتعد عن التوسع المقلد الذي أفرزته الحداثة الغربية بدأ بالأخلاق ثم الأفكار، ومن ثم تحديث المؤسسات، ومن ثم تحديث كل مجالات الحياة ومستويات السلوك، لأنها تؤثر في الفكر والعلم والدين، ولهذا تبقى الحداثة مجرد" *أفاقا تجسيدية متعددة، وليس الخلق الحداثي الغربي إلا واحدا منها*"[1]. ولهذا كان التوسع الغربي مرتكزا على الجانب المادي الذي

[1] . طه عبد الرحمن، **الحداثة والمقاومة**، مصدر سابق، ص22.

يسعى إلى إصلاح واقع متأزم، ولهذا فالتوسع المقلد يبعد المجتمعات عن الجانب الروحي، ويؤكد طه عبد الرحمن على الجانب الروحي في التوسع المبدع، الذي يوفق بين حداثة روحية وحداثة مادية من خلال قوله: "*جسمانية الإنسان تابعة لروحانيته*"[1]. وهذا يشير أن طه عبد الرحمن قد جعل المسؤولية راجعة من تقلبات المادة إلى الروح الفرد، وذلك أن الحداثة الروحية التي تسعى إلى التوسع المعنوي الذي يرتقي بالإنسان ولهذا " *فلا يدفع التحويج المادي إلا تحويج روحي على قدره*"[2]

ب. ركن التعميم:

يتحقق هذا الركن من خلال تجاوز التعميم المقلد إلى التعميم المبدع، الذي يقوم على رفض محدودية التعميم وحصره في مجال محدد، الذي يكون حسب إعتقاد الحداثيين الغربيين أو المقلدين العرب لهم، وفي هذا الركن يؤكد طه عبد الرحمان على رفضه لفكرة التعميم المحدود وتجاوز الفروق التاريخية والحضارية بين الطرفين، وهذا من خلال تعميم الفعل الحداثي حتى يشمل كل المجتمعات، وفي هذا يقول: " *إن هذه الأفعال لا تبقى الحداثة حبيسة المجتمع الذي نشأت فيه بل إن أثارها تتعدى إلى ما سواه من المجتمعات، أيا كانت الفروق*"[3]. ويؤكد هذا أن طه عبد الرحمن يسعى إلى تعميم مبدع قائم على الجانب الروحي.

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصر سابق، ص 60.

[2] . المصدر نفسه، ص 40.

[3] . المصدر نفسه، ص 26.

إن الحداثة العربية تميزت بمبادئها الثلاثة: مبدأ الرشد، مبدأ النقد، مبدأ الشمول وهذه المبادئ ميزت الحداثة العربية بروحها المستقلة الداعية إلى الإبداع والإجتهاد من أجل تحقيق الرقي.

المبحث الثاني: شروط الحداثة العربية عند طه عبد الرحمن

لقد عمل طه عبد الرحمن في مشروعه الحداثي الإسلامي، على رؤية حداثية جديدة بعيدة عن التقليد مبنية على قيم أخلاقية جديدة، داعية إلى النهوض بالعقل العربي، وهذا ما جعل طه عبد الرحمن، يقف على مجموعة من الشروط والتي ينبغي أن يستوفيها التطبيق الإسلامي لروح الحداثة، والتي نجدها:

1. إجتناب أفات التطبيق الغربي لروح الحداثة :

يرى طه بأن التطبيق الغربي قد دخلت عليه أفات مختلفة، حيث جعلته مقيد وكأنه محكوم بقانون عام كانقلاب المقصود على الضد، فبدلا من سيادة الإنسان على الطبيعة فإذا بالطبيعة هي التي تسود الإنسان و تفعل ما تريد، حيث أصبح الإنسان العربي عاجزا في مختلف القطاعات، ولا يستطيع التحكم في نظمها بسب هذا الإنقلاب حيث يقول طه عبد الرحمان: " *فلا يصلح أن ننقل تطبيق الأخرين لهذه الروح، نظرا إلى أن المطلوب هو نقل الأصل، و ليس نقل النقل، و الأصل هو هذه الروح و ليس تطبيقها الذي هو مجرد نقل، فضلا عن أن لكل مجال تداولي مقتضياته التطبيقية الخاصة*"[1].

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص ص 33،34.

2. إعتبار الحداثة تطبيقا داخليا لا تطبيقا خارجيا :

يؤكد طه بأنها لا توجد حداثة من الخارج، بمعنى أن الحداثة تكون في الداخل، أي حداثة جوانية (روحية)، وتكون وفقا لمقتضيات المجتمع، وليست وارده له من الخارج، بمعنى حداثة برانية، (مفروضة منه)، لذا إعتبرها مجرد تطبيق من الدرجة الثانية، حيث يقول:"*التطبيق الداخلي يوجب على من يتعاطاه أن يرجع إلى الأصل، والأصل مفقود كليا لديه، وعلى هذا فكل أمه هي بين خيارين إثنين: إما أن تصنع حداثتها الداخلية أو لا حداثة لها* "[1].

3. إعتبار الحداثة تطبيقا إبداعيا لا تطبيقا إتباعيا :

يشترط الإبداع في الحداثة لأنه هو المبدأ الأول والأخير لها، من أجل تحقيقها، بمعنى على الحداثي "*أن يبدع في تعقيله للأشياء وتفصيله بينها، وأن يبدع في إستقلاله عن غيره، بل أن يبدع في إبداعه، كما ينبغي أن يبدع في توسيع أفعاله إلى مختلف المجالات، وتعميم مبتدعاته على كل ما عاداه*".[2] وهذا يدل على أن طه عبد الرحمان رافضا للتقليد بإعتبار أن أركان الحداثة تكمن بالإبداع، الذي يحققه الفرد بعقله.

ومن خلال هذا ينطلق طه عبد الرحمن من التساؤل التالي: ما هي كيفيات الإنتقال من الحداثة المقلدة إلى الحداثة المبدعة؟ وعلى هذا حدد طه عبد الرحمان الشروط الخاصة لكل مبدأ من مبادئ التطبيق الإسلامي لروح الحداثة حتى يضمن مشروعه الحداثي، حيث نجد:

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 34.

[2] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

_ **الشروط الخاصة للتطبيق الإسلامي لمبدأ الرشد:** ويتركب هذا من ركنين الإستقلال والإبداع، وقد بين طه كيفية الإنتقال من الإستقلال المقلد إلى الإستقلال المبدع، إذ يرى أنه يجب على المسلمين دحض كل المسلمات الخفية لتطبيق الغربي في ركن الإستقلال و التي تشمل ما يلي:

_ وصايا الأقوى الخارجي عناية بالأضعف : مسلمة غربية مناقضة لروح الحداثة، فوصاية الأقوى تظل وصاية، فما بالك بوصاية الأقوى، بموجب هذه الروح تحجب عن التفكير كما تحجب عنه عنف السلطة.

_ وصاية الداخلية هي وصاية رجال الدين : تعد باطلة لأن الوصاية الداخلية لم يمارسها رجال الدين أو الفقهاء في المجتمع المسلم.

_ الحداثة هي الإستقلال عن الوصاية الداخلية : باطلة هي الأخرى، لا وجود لوصاية داخلية يتولاها رجال الدين لأنها منعت من الدخول في الحداثة[1].

ومن هذا يتبين على المسلمين أن يحققوا إستقلالاهم ويبدعوا في هذا الإستقلال، الذي يجعل منه إستقلالا مسؤولا يتولى به فعل التحديث.

أما بالنسبة لكيفية الإنتقال من الإبداع المقلد إلى الإبداع المبدع، فيرى طه عبد الرحمن بأن المسلمين قد إنقطعت قدرتهم على الإبداع، حتى أصبح التقليد طبيعة راسخة في نفوسهم وهذا من خلال أنه سيفتح لهم باب الدخول في الحداثة، وهذا ما عده فعلا فهمهم لماهية

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص ص 35،36.

الحداثة إذ يقول: *"ما زال المتفلسف العربي لا يجرؤ إلى حد الآن أن يضيف إلى المفاهيم الفلسفية التي يصنعها غيره مفاهيم يصنعها من عنده"*[1].

لذا يسعى طه عبد الرحمن إلى الإبتعاد على المسلمات التي إنبنى عليها التطبيق الغربي لركن الإبداع، فيبطلونها ويدفعون الأفات المترتبة عليها والتي هي:

_ أبدع الإبداعات ما كان إنفصالا : يعدها مسلمة باطلة لأن الإنفصال عن الأفكار الموروث و المنقولة لا يحقق علميا، " *فلا ينبغي أن يقدر الإبداع بقدرته على الإنفصال، و إنما بقدرته على الإرتقاء بالإنسان* "[2].

_ الإبداع يخترع الحاجة كما قد يشبعها: و هذا يدل على أن الإبداع مرغوب فيه متى أنشأ الحاجة، في مجال المعنويات والروحيات، فيغني الأذواق الجمالية و المدارك الفنية ويزيد من السعي إليها، و هذا لا يحصل إلا لشهوات أكثر في مجال أخر، و مثل هذا الإبداع مذموم حسب طه عبد الرحمن، لأن زيادة الذوق الفني للمستهلك، إنما ربح مادي للمنتج.

_ أصدق الإبداعات ما بلغ فيه الذات نهايته: تعد مردودة، وذلك أن إزدهار الذات، يتجلى كقيمة في الإبداع المتواصل للحياة الخاصة حين يراعي المطالب الأخلاقية، و يحفظ الإلتزامات المعنوية المترتبة على الوجود معهم، و هذا أمر حسن، أما إذا صار الإزدهار عبارة عن بحث

---

[1] . طه عبد الرحمن، **الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2006، ص77.

[2] . طه عبد الرحمن، **الحداثة والمقاومة**، مصدر سابق، ص38.

الذات المتواصل عن إشباع رغباتها الخاصة بالحاجات الإنسانية، فهو أمر قبيح يؤدي إلى الإضرار بإنسانية الفرد[1].

_ **الشروط الخاصة للتطبيق الإسلامي لمبدأ النقد** : والذي يتكون من التعقيل والتفصيل فقد وضح طه كيفية الارتقاء من التعقيل المقلد إلى التعقيل المبدع، وهذا حين دخل المسلمين في ممارسة النقد الواسع لتراثهم وثقافتهم، ولمختلف مؤسساتهم وهذا هو التعقيل المقلد الذي حل

بالمسلمين، الذي جعلهم يتمسكون بطرق النقد المنقولة، وفي ذلك يقول:"*أما ترى أن المتفلسف العربي لا يصوغ من الألفاظ إلا ما صاغه غيره ولا يستعمل من الجمل إلا ما إستعمله، ولا يضع من النصوص إلا ما وضعه، ولا يكاد يزيد عن هذا أو ذاك شيئا... يؤولون إذا أول غيرهم ويحفرون إذا حفر غيرهم...*"[2]. ولهذا إقترح طه عبد الرحمان الخروج من هاته الأفات التي وقع فيها المسلمين والتي إنبنى عليها هذا التطبيق وتشمل:

_ أن العقل يعقل كل شيء : تعتبر أرسخ مسلمة في التطبيق الغربي، و لهذا أبطلها طه عبد الرحمن لوجهين : الأول؛ أن العقل لا يعقل ذاته لأنه شيء من الأشياء، أي يحتاج إلى عقل أقوى منه ليدركه، أما ثانيا؛ أن العقل لا يمكن أن يعقل الكل لأنه جزء من الكل لذا " *فتعقيل*

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص40.

[2] . طه عبد الرحمن، **فقه الفلسفة 2 القول الفلسفي كتاب المفهوم والتأويل**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2005، ص ص 11،12.

الذي ينبغي أن يمارسه الإنسان هو ذلك الذي يطلب المعارف و يصنع الألآت على مقتضى القيم و الإشارات التغلغل في الوجدان الإنساني"[1].

_ الإنسان يسود الطبيعة: يرفض طه عبد الرحمان هذه المسلمة، بإعتبار أن الإنسان لا يملك الطبيعة لأنه لم يخلقها بيده ولا بأمره، بل سخرت له تسخيرا، و حين إكتشف البعض من قوانينها إستخدمها لأغراضه، و بقي لا يملك مألات إكتشافه ولا نتائج إستخدامه، ولهذا فهو يطعها ولا تطيعه[2].

لذلك فالطريق الإسلامي في التعقيل الحداثي لا يصارع الطبيعة، وإنما يحاورها بل يودها ويرحمها حتى تبوح له بأسرارها ومع هذا لا يقدسها بل يقدس خالقها " *فالطبيعة أم الإنسان، وليست أمة له، فقد خرج من رحمها كما خرج من رحم أمه التي ولدته، والوالدة لا تكون أمة لولدها* "[3].

_ كل شيء يقبل النقد: مسلمة باطلة و تنطوي على إفتراضين هما: أن النقد هو الطريق الوحيد الذي يوصل إلى الحق في كل شيء، وهنا الخير واحد في هذه الطرق إذ يكون في بعض الحالات المعرفة الحاصلة أيقن من المعرفة الحاصلة بالنقد، لهذا فالطريق الإسلامي في التعقيل الحداثي يسعى إلى النقد المتنوع وليس النقد الواحد الذي أخذ به التطبيق الغربي.

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 44.

[2] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] . المصدر نفسه، ص 45.

وعلى الجملة فالحداثة التي ورثها التطبيق الإسلامي لركن التعقيل حداثة داخلية مبدعة، فهو لا يكتفي بالعقل الأداتي، بل يدمجه في عقل أوسع يحيط هذه الأداتية بكمالية القيم التي نشأ عليها المسلمين[1].

أما بالنسبة لكيفية الإنتقال من التفصيل المقلد إلى التفصيل المبدع فيرى طه عبد الرحمان أن الأمة الإسلامية أخذت التفصيل في كل المجالات وعلى كل المستويات، حتى أصبحوا يبحثون بكد وصبر عن مظان الإنفصال عن تاريخهم وتراثهم ومؤسساتهم، وهذا هو حال التفصيل المقلد، وللإبتعاد عن هذه الأفات لركن التفصيل المقلد، لابد أن نقف عند المسلمات التي أدت إلى ذلك وهي:

_ الفصل بين الحداثة والدين فصل مطلق : أبطل هذه المسلمة، وذلك من وجوه عدة وهي :

أولا: الخلط بين الكنيسة والدين، من خلال الإنفصال الذي جرى بين الحداثة ومؤسسة (الإكليروس) بوصفها سلطة سياسية لا دينية.

ثانيا: الإعتقاد بظهور حداثة دافعة واحدة، الحق أن الحداثة سيرورة فكرية طويلة عبر العصور لذا فهي ليست دفعة واحدة.

1 . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 46.

ثالثا: توسل الحداثة بمفاهيم دينية صريحة، وهذا يدل على أن الخطاب الحداثي قد استعمل مفاهيم مأخوذة من الدين كمفهوم الحياة في الدلالة الإيجابية ومفهوم الكمال في الدلالة على التقدم.

_ الفصل بين العقل و الدين فصل مطلق : كذلك تبطل هذه المسلمة لأنها تحصر اللامعقول بحجة أنه معتقدات غيبية أو أسطورية[1].

_ التفصيل يقترن بمحو القدسية : فاسدة لأنها تبنى على إفتراض باطل، حيثما وجدت القدسية فثمة سحر، ذلك أن القداسية صفة تعظم وتنسب لكل شيء يتعالى ويتنزه عن مشابهته، في حين أن السحر صفة تعظم تنسب لما يحل في العالم[2].

_ **الشروط الخاصة للتطبيق الإسلامي لمبدأ الشمول** : يرتكز على ركنين التوسع و التعميم، ففي توضيح كيفية الإنتقال من التوسع المقلد إلى التوسع المبدع، يؤكد طه عبد الرحمان أن الحداثة لم تستوعب مجالات الحياة كلها في المجتمعات الإسلامية، وذلك بسبب التوسع الحداثي، فحداثة الألآت أسرع من حداثة الأفكار لذا فحداثة الألآت وجدت دعما قويا، أما المجال الأخلاقي فقد نفذت فيه بأقوى مما نفذ في غيره من المجالات، وهذا ما أدى إلى الفساد في الحياة الخاصة والعامة، في هذا يقول: " *التعقيل هو التحفظ في إصطناع تقنية ممكنة*

---

[1] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص ص 48،51.
[2] . المصدر نفسه، ص ص 52،53.

والتصون من الإكثار من هذه الوسائل دفعا لسوء العواقب"[1]. وهذا حال التوسع المقلد الذي يعانيه المسلمون، ويتوجب الخروج من الآفات التي إستند عليها التطبيق الغربي:

_ الحداثة واقع حتمي : ذلك أن الغرب عموما أضحوا يعتقدون بأن الحداثة قدر محتوم عليهم

وهذا ما رفضه طه؛ وعده موقف إستسلامي، فالأصلح أن يقاوم الإنسان سلبياتها مهما كانت، بل وله القدرة على أن يبدع حداثة ثانية أفضل منها " *فكما أن الإنسان حرك واقع الحداثة، حتى غدا مسلسلا من التطورات يتبع قوانين موضوعية تبدوا مستقلة عن إرادته، فكذلك بإمكانه، بواسطة همته أن يزحزح ولو قليلا هذا المسلسل عن مساره، ويدفع به في مسار يأخذ على التدرج في الإنفصال عن الأول، حتى كأنه مسلسل جديد من التصورات الحتمية*"[2].

_ الحداثة تورث القوى الشاملة: يرى بأن الحداثة الغربية لم تورث أهلها إلا القوة الشاملة في المجال المادة، وهذا يجعلنا لا نستغرب حين يحدث الإستبداد للمجتمعات الأخرى، و منعها من ممارسة حقها في التحول في زمن الحداثة، حين تجعل النظرة المادية سيادة العقل عندهم وهذا ما أدى إلى التخلف المعنوي في المجتمع الغربي[3].

---

1 . طه عبد الرحمن، **سؤال الأخلاق**، مصدر سابق، ص 132.

2 . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص ص 56،57.

3 . المصدر نفسه، ص 59.

وذلك ما أكد عليه ألان تورين: " *إن فكرة الحداثة في شكلها الأكثر صلابة والأشد تواضعا عندما تحددت بتدمير النظم القديمة، وبإنتصار العقلانية، قد فقدت قوتها في التحرر وفي الإبداع...*"[1].

_ ماهية الحداثة ماهية إقتصادية: أي أن واقع الاقتصاد في الحداثة الغربية ليس مجرد فعالية إنسانية مندمجة في الفعاليات الإجتماعية و إنما إستقلت على التنظيم الإجتماعي بأكمله، و أصبح همه التوسع الاقتصادي الغير محدود ولهذا إبتعد كثيرا عن الروح التي إنبنى عليها الأصل الذي يحقق كرامته الإنسان.

وعلى الجملة فإن التطبيق الإسلامي لركن التوسع هو الأخر حداثة مبدعة ترتكز على ماهية الإنسان ماهية خلقية[2].

أما بالنسبة لتوضيح كيفية الإنتقال من التعميم المقلد إلى التعميم المبدع، يرى طه عبد الرحمان أنه يجب درء الآفات التي إعتمد عليها التطبيق الغربي وهي:

_ الحداثة تثبت الفكر الفرداني : يعني أن الحداثة الغربية خرجت من رتبة الإنسان إلى رتبة الفرد خروجا، بإستبدال مكان صفات الكمال إلى صفات الأنانية، و على هذا فالإنسان رتبة مثالية نحكم عليها من منظور الواجب، في حين رتبة الفرد إجتماعية نحكم عليها من الواقع،

---

[1] . ألان تورين، **نقد الحداثة**، مرجع سابق، ص 22.

[2] . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص ص 60،61.

وهذا الأخير يجعل الفرد لا يكترث لغيره[1].

_ العلمانية تحفظ لجميع الأديان حرمتها : هذا يدل على أن الحداثة لما عمت كل المجتمعات، وكان لكل مجتمع دين أو أديان لا تتدخل فيها ولا تتدخل في تدبيرها، فقد حافظة لحرمة الأديان مسوية بينها جميعا، وأنه لا فضل لدين على أخر[2].

_ الحداثة قيم كونية: يؤكد التطبيق الغربي بأن كل القيم كونية، وفي حقيقة الأمر هي محلية لا كونية فيها، لذلك يفرق الطريق الإسلامي في التعميم الحداثي في الكونية بنوعين، أحدهما كونية سياقية، أي ما أبدع في مجتمع قد يعاد في مجتمع أخر، وأخرى كونية غير سياقية أو كونية إطلاقيه أي متى أبدع في مجتمع لايعاد إبداعه في مجتمع أخر، و يؤكد طه عبد الرحمان بأن الكونية التي تتولد عن روح الحداثة إلا كونية سياقية غير إطلاقية[3]

المبحث الثالث: مقاربة نقدية للمشروع الحداثي عند طه عبد الرحمن

وبناءا على ما تم عرضه وتحليله للمشروع الحداثي عند طه عبد الرحمن؛ لما تضمنه من جد في الطرح، وإبداع في مفاهيم المناهج، حتى ظل يتألق ويتجذر في فضاء الفكر العربي المعاصر على إمتداد هذه السنين، مما زاده رسوخا في الفكر الإنساني المعاصر، حتى أثار جدلا بين معاصره من مشاريع أخرى إذ تعرض للإنتقاد من بعض المفكرين.

---

1 . طه عبد الرحمن، **روح الحداثة**، مصدر سابق، ص 62.

2 . المصدر نفسه، ص 64.

3 . المصدر نفسه، ص 66.

ولعل أبرز نقد وجه طه عبد الرحمان حول كتابه الحق العربي في الإختلاف الفلسفي، الذي أعلن فيه مؤلفه أن للأمة العربية الحق أن تكون لها فلسفة خاصة بها، كان مع المفكر ناصيف نصار Nasif al–Nassar (1940) حيث يقول:"*إن هذا التصور اللغوي هو تصور مبني على وجهة نظر قومية أيديولوجية*"[1]. ذلك يشير إلى أن ناصيف يرفض التصور القومي للمشروع الطهائي الحداثي؛ والذي يسعى من خلاله إلى تأسيس فلسفة عربية منفكت الارتباط بالفلسفة الغربية.

والأهم من هذا كله أن نقد ناصيف نصار لطه عبد الرحمن كان يتجه إلى"*بناء فلسفة عربية حية، وذلك بإعتبار أن ذلك يؤدي إلى تعدد الفلسفات بتعدد الألسن، والحق أن الفلسفات لا تتعدد على النحو من الإختصاص بين الأمم، إذ لا وجود لفلسفة خاصة بكل أمة، لا من جهة اللسان ولا من جهة التجربة التاريخية*"[2]. ومن هنا فإن بناء الفلسفة على أساس قومي لا أساس له من الصحة التاريخية والفكرية، حسب ناصيف نصار حيث يقول: "*إن كونية الفلسفة تظل حاضرة بلغة الإختلاف والتعدد لا بلغة القومية والدين فهذا الأخير ربما يعمل على قراءة المشهد الفلسفي الغربي قراءة غير سليمة، بل أحيانا قراءة مغرضة وهو ما تحقق مع طه عبد الرحمن حينما إعتبر أن الفلسفة الغربية الحديثة تخضع للتسييس والتهويد*"[3]. وهذا يشير إلى أن

[1] . يوسف بن عدي، **مشروع الإبداع الفلسفي العربي قراءة في أعمال طه عبد الرحمن**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص ص 201،202.

[2] . المرجع نفسه، ص 203.

[3] . المرجع نفسه، ص 204.

كونية الفلسفة لا تبطل تاريخيتها حسب ناصيف وهذا ما يجعله يدعو إلى الانفتاح على الفضاء الفكري الفلسفي العالمي.

خاتمة الفصل الثالث:

ـ اهتم طه عبد الرحمن بروح الحداثة لا بواقعها، لأن روح الحداثة عنده صالح لكل زمان ومكان؛ وذلك لأنها تقوم على مبدأ الرشد ومبدأ النقد ومبدأ الشمول.

ـ يسعى طه عبد الرحمن إلى تكوين روح واعية وراشدة وناقدة شاملة؛ وهذا من أجل تعدد تطبيقات الحداثة العربية الإسلامية.

ـ عمد طه عبد الرحمن إلى وضع شروط عامة لروح الحداثة في التطبيق الإسلامي، حيث دعا من خلالها إلى درء أفات التطبيق الغربي، وإعتبر الحداثة تطبيق داخلي لا خارجي.

ـ يعتبر طه عبد الرحمن الحداثة تطبيق إبداعي لا إتباعي، ولهذا فهو يرفض التبعية والتقليد ويعتبر الإبداع ضروري للإنتقال إلى التطور، وذلك من أجل خلق حداثة عربية إسلامية مميزة بروحها عن واقع الحداثة الغربية.

ـ دعا المفكر طه عبد الرحمن إلى ربط الحداثة بالأخلاق، وذلك بغيته إستبدال التعقل الغربي بالتخليق العربي الإسلامي، لأن الأخلاق مرتبطة بالدين والدين يتضمن الأخلاق والأخلاق لا يمكن أن تكون خالية من الدين.

خاتمة

وأخيرا ومن خلال عرضنا وتحليلنا لموضوع الحداثة عند طه عبد الرحمن، الذي سعى إلى فتح أفاق جديدة في أوضاع العالم العربي الإسلامي، وذلك من خلال رؤيته النقدية الإبداعية توصلنا إلى النتائج التالية:

يعد مشروعه رؤية صوفية وحربا على المفكرين العرب المقلدين، الذين اتخذوا العقلانية الغربية منطلقا لفكرهم تحت شعار التنوير والتجديد والإصلاح؛ منهجا للنهوض بالوقع الإسلامي؛ ولهذا سعى طه عبد الرحمن إلى هدم الحداثة الغربية لما انطوت عليه من آفات ومفاسد، وثار على المفكرين العرب الذين اتخذوا العقلانية الغربية منهجا لهم، وذلك لأنها عقلانية عملت على فصل الدين والأخلاق عن منظومتها الفكرية، وذلك ما أدى بطه عبد الرحمن على وضع مبادئ وشروط تتوافق وتتماشى مع المجال التداولي الإسلامي المستمد من روح حداثتها.

عمل على تأسيس حداثة عربية مؤصلة ومبدعة لا مقلدة، ولهذا فهي حداثة مميزة بروحها عن واقعها، من خلال أنها روح مستقلة، داعية إلى أسمى مقاصد الرقي بالإنسانية؛ وذلك من خلال تجديد الفكر العربي والعمل على إقامة فلسفة إسلامية تضاهي الفلسفة الغربية الحديثة، من حيث المنطلقات والتصورات والمفاهيم والمصطلحات، وهذا من خلال إبداع منظومة المصطلحات الخاصة به، والتي دعا من خلالها المتفلسف العربي إلى الإبداع والإختلاف لمحو التبعية عن الفكر الإسلامي، من أجل إنتاج خطاب فكري مستقل يتوافق مع الأخلاق الإسلامية؛ وهذا ما أدى به

إلى رفض وجود الحداثة مع وجود التقليد، ولا حداثة بدون أخلاق حسب طه عبد الرحمن؛ ولهذا إعتبر الأخلاق مبدأ من المبادئ الراسخة للحداثة العربية الإسلامية الأصيلة والحقيقية.

رغم كل هذه الإنتقادات التي وجهت له في مشروعه الحضاري إلا أنه إرتقى في فضاء الفكر العربي المعاصر، وخاصة في النظر في مقومات الحضارة الغربية وفي تراث الأمة الإسلامية، لما حمله من جد في الطرح وإبداع المفاهيم الخاصة به.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **قائمة المصادر:**

1- طه عبد الرحمن، **الحداثة والمقاومة**، معهد المعارف الحكومية للدراسات الدينية والفلسفية، بيروت، ط1، 2007.

2- طه عبد الرحمن، **الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2.

3- طه عبد الرحمن، **روح الحداثة المدخل إلى تأسيس حداثة إسلامية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

4- طه عبد الرحمن، **فقه الفلسفة 2 القول الفلسفي كتاب المفهوم والتأويل**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2005.

5- طه عبد الرحمن، **الحوار أفقا للفكر**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

6- طه عبد الرحمن، **سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية**، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

❖ **قائمة المراجع:**

7- أبو النور حمدي وأبو النور حسن، **يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل**، التنوير لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 2012.

8- ألان تورين، **نقد الحداثة**، ترجمة: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1997.

9- خالد حاجي، **من مضايق الحداثة إلى فضاء الإبداع الإسلامي العربي**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2005.

10- شارل بودلير، **الأعمال الشرعية الكاملة**، تر: رفعت سلامة، دار الشرق، القاهرة، د ط، 2009.

11-عبد السلام بوزبرة، **طه عبد الرحمان ونقده للحداثة**، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

12-عدنان علي رضا النحوي، **تقويم نظرية الحداثة**، دار النحوي للنشر، السعودية، ط1، 1992.

13-علي حرب، **الماهية والعلاقة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

14- فتحي التريكي ورشيدة التريكي، **فلسفة الحداثة**، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان،1992.

15- فليب راينو، **ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث**، تر: محمد حديد منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، د ت.

16-محمد الشيخ، **فلسفة الحداثة في فكر هيجل**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

17-محمد سبيلا، **الحداثة وما بعد الحداثة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

18-محمد سبيلا، **مدارات الحداثة**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، دت.

19- محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 2001.

20- محمد عابد الجابري، **نحن والتراث**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضـاء، ط 6، 1993.

21-محمد عاطف العراقي، **ثورة العقل في الفلســـفة العربية**، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1978.

22-محمد عبده، **رسالة التوحيد**، دار الفكر، بيروت، د ط، د ت.

23-مطاع صـــفدي، **نقد العقل الغربي الحداثة وما بعد الحداثة**، مركز الإنتماء القومي، بيروت، لبنان، 1990.

24- يوسف بن عدي، **مشروع الإبداع الفلسفي العربي قراءة في أعمال طه عبد الرحمن**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

❖ **قائمة المعاجم والموسوعات:**

25- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1983.

26-ابن منظور، **لسان العرب**، مج2، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1955 .

27-أندرية لالاند، **موســوعة لالاند الفلســفة**، مج2، تعريب: خليل أحمد خليل، منشــورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.

28- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

29- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

30- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006.

31- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **قاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.

❖ **قائمة الدوريات:**

32- مجلة **الأدب الإسلامي**، العدد 86، العدد 98، السعودية.

33- مجلة **الحوار المتمدن**، العدد 2483، 2008.

34- مجلة **فصول**، العدد 3، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر ، 1984.

ملخص الدراسة:

حاولت من خلال هذه الدراسة المعنونة بإشكالية نقد الحداثة الغربية، أن أركز اهتمامي على المشروع الحداثي الإسلامي الذي يعتبر من أهم المشاريع التي كان لها أثر في مسار الفكر العربي المعاصر، آلا وهو مشروع طه عبد الرحمن، والذي بدأ بنقد الحداثة الغربية منطلقا من الأسس التي قام عليها روح التطبيق الغربي، وهدف طه من نقده هو تشكيل مدخل لتأسيس حداثة عربية بديلة أصيلة ومبدعة.

Abstract:

Through this study underlined "problem of western modernity critic " we intended to cast an eye on the islamic modern interprise which is considered one of the predominant projects that influenced modern Arab-mind ,and this latter belongs to taha abd El-rahmen that criticised western modernity starting from western application way of thinking .Taha aimed to build a method to achieve another unique Arab modernity .